((في البلدة))

يطل هامان أكبر ابناء فرعون من شرفة البناء الوحيد المرتفع عن الأرض ناظرًا إلى البحر، في إنتظار وصول المركب المحملة بخمسون من العبيد ذوى البشرة السوداء في الموعد المتفق علية مع بائع العبيد في البلدة الأسفل من جهة البحر.

في الوقت ذاته كان الناس في البلدة قد أستيقظوا وبدأوا في ممارسة نفس النشاط اليومي التقليدي في البلدة التي يعمل نصف اهلها في صيد الأسماك والنصف الآخر في تربية الأغنام وصنع وبيع الاحتياجات البسيطة لهم من ملابس وأحذية وغيرها.

عادة الصيادين الاستيقاظ مبكرًا لإعداد شباك وأدوات الصيد والخروج بمراكبهم البدائية للصيد مبكرًا، كذلك الرعاة ولكن أصحاب الدكاكين يتأخروا قليلًا في فتح دكاكينهم وأسواق البيع والشراء.

لاحت في الأفق المركب المحملة بالعبيد، رآها هامان فنزل من منزله وأتجه هو وحاشيته ناحية البحر، وتوجه سكان البلدة أيضًا ناحية مرسى المراكب لعلهم يجدوا ما أعتادوا أن يشتروه من مثل هذه المراكب من وارد البلد التي يأتى منها العبيد.

رست المركب وبدء العبيد في النزول، خمسون رجل أقوياء البنية طوال القامة ووقف هامان يعاينهم كأنما يعاين بضاعة مشتراه.

بدء الناس يتهامسون بحرص كي لا يسمعهم هامان.

أحد الرجال:

ها هو الظالم قد أشترى بالعشرة صكوك الذهبية التي جمعها من كل رجل في البلدة مجموعة العبيد هذه ليكونوا حراسًا علينا وجواسيسًا له.

رد رجل أخر:

نعم، كلما زاد عددنا في البلدة قام بزيادة الحراس، أن هامان حريص كل الحرص ألا تخرج الأمور من يده وأن نبقى تحت سطوة حكمه الظالم.

رد الأول:

لقد زاد ظلمه عن الحد، لا يعمل لا هو ولا إخوته الثلاثة ونحن نعمل طوال النهار في البحر ويأخذ ربع السمك لبيعه لصالحه.

قال الثاني:

وهو الوحيد الذي يمتلك بناءً عاليًا مطلًا على البحر ونحن جميعًا نسكن بيوتًا وضيعة لا نجد فيها الدفء في الشتاء القارس.

يرد الأول:

لا يوجد فائدة من الحديث عن هذا الرجل وأخوته فلن نستطيع الخروج من سيطرته، إنه أحكم السيطرة على البلدة بحراسه وجواسيسه، حتى عائلة رضوان التي هي أساس البلدة ونواتها الأولى وهم أعدل الناس فينا وأكرمهم لا يجدون حلًا لهذا الكابوس.

قال الثاني:

دعنا إذًا نرى ما في المركب الكبير، دعنا نحصل على أي منافع منها.

يفرغ المركب حمولته من العبيد والبضائع ويقوم بتحميل أشياء من البلدة التي يحصل عليها كل مرة وتتميز بها البلدة ثم ينصرف عائدًا من حيث آتى.

يجلس هامان مع مجموعة العبيد ليعرفهم بما هو مطلوب منهم.

هامان مخاطبًا العبيد:

أيها الرجال أنتم هنا قد أشتريناكم لحماية البلدة، وحمايتي ومن أجل ذلك أنتم لا تسمحون لأحد أن يتشاجر مع الآخر ولا يجتمع رجال دون علمكم ولابد أن أعرف عن أي شيء غريب يدور في البلدة وبين أهلها، أكلكم وشربكم مضمون ومن يرغب من الزواج نزوجه، إستريحوا من سفركم ثم إستمعوا لكبير الحراس ليوجهكم إلى أماكن خدمتكم.

في طريق هامان للعودة إلى منزله ليكمل نومه فلم يكن من عادته الأستيقاظ مبكرًا وإنما أستيقظ اليوم ليستقبل المركب فقط، في الطريق يقابل وجهًا لوجه رضوان شيخ الصيادين ودار بينهم الحديث..

هامان:

كيف حاك رضوان، سمعت أن الناس في البلدة يتهامسون بعدم الرضا عن حالهم وأنك أنت وأخوتك تأيدون ذلك.

رضوان:

ألك جواسيس بيننا بخلاف جواسيسك من العبيد، على العموم أنا لا أخشى شيئًا كما تعرفني، نعم الناس ليست راضية ولا سعيدة وحالهم غير مرضى لعل جواسيسك أيضًا يخبرونك بأحوالهم كما يخبرونك بعدم رضاهم.

هامان:

أعلم كل شيء ولكنك أعقل أهل البلدة وأساسها ويجب عليك إفهام الناس أن ما يتم جمعه من صكوك إنما لصالحهم، نحرسهم ونحميهم، فهم ضعاف الفهم وليسو مثلك.

رضوان:

هم قادرون على حماية أنفسهم، لعلك تحمى نفسك وأهلك فقط بهؤلاء العبيد والجواسيس.

هامان:

يا رضوان كن معى ولا تكن ضدي أن كل البلاد لابد لها من حاكم أم تريد أن يموج الناس في بعضهم البعض وتضيع الحقوق ويسود الهرج.

رضوان:

أكن معك أن أنت حكمت بالعدل ورحمت الناس، أنا وأهلي أساس هذه البلدة وأول سكانها، قديمًا حارب أباك فرعون أبي؛ ليستحوذ على البلاد، ولقد ورثت أنت منه قسوة القلب، إذا أنت تريد حقيقة أن تحمي هذه البلدة فلا تسلبهم حقوقهم وأنظر إلى أحوالهم،

يسكنون بيوتًا واهية وعددهم يزيد والطعام لا يزيد لما يملكون من مراكب ضعيفة لا تقوى على الدخول في عرض البحر لزيادة الصيد وأنت تأخذ منهم بدلًا من أن تعطيهم، ما دام الحال هكذا لن أكون معك والأفضل ألا نتحدث مجددًا في هذا الأمر.

هامان:

كما شئت يا رضوان، ولكن إحذر مني لإن وجدتك تقوي الناس ضدي سأعتبرك من الخائنين.

إنصرف رضوان إلى مركبه فهو من قدامى الصيادين هو وأخوته ومن محترفي مهنة الصيد، إنصرف وهو لا يكترث بتهديد هامان، فهو يرى أن الحق لا يجب أن يكون جبانًا وأن الظلم هو من يجب أن يتوارى وليس الحق.

قبل الظهيره بدء الناس في فتح دكاكينهم لبيع الخبز والأغراض البسيطة التي يصنعونها من أجل تلبية متطلبات حياتهم البدائية.

ودار الحديث التالي بين أثنين من أصحاب الدكاكين:

الأول:

صباح الخير أخي، أرأيت العبيد الجدد في مساكنهم؟

الثاني:

نعم رأيتهم وعلمت أن المركب جاءت بهم صبيحة اليوم.

الأول:

عندما تفتح حورية دكانها سأبلغها بقدوم العبيد الجدد كي تكون على حذر، فأي غريب عن البلدة عندما يرى حورية وجمالها الخلاب لا يتمالك نفسه ويمكن أن يؤذيها.

الثاني:

أراك تنتهز الفرصة لترى حورية وتحدثها.

الأول:

ومن منا لا ينتظر الفرصة لذلك، أراهن أن كل أصحاب الدكاكين يفكرون كما أفكر، حقيقة لا أحد على أرض البلدة لا يرغب في حورية وأن النظرة إليها تسلب العقول وتشبع النفوس من الجمال والفتنة.

الثاني:

الكل يرغب في ذلك فعلًا، ماعدا الراهب ورضوان.

الأول:

وما أدراك أنهما هما أيضًا لا يرغبان في حورية، الراهب ورضوان وأخوة رضوان وبعض الذين يتحاشون الذهاب إلى حورية والحديث معها إنما يرغبون في أنفسهم في الحديث معها ولكني أرى أن ما يمنعهم من ذلك إما خشية أن تنزل مكانتهم بين الناس، أو خشية إفتضاح أمرهم لدى زوجاتهم، أن حورية ليست من البشر في جمالها وهيئتها، ولولا أننا نعلم أنها جاءت مع مركب صغير هي وأبنتها الصغيرة الجميلة أيضًا ورأينا ذلك بأنفسنا لقلنا أنها جاءت من الجنة.

الثاني:

قد أصدقك في شأن كل الرجال فلا أعلم بما في صدور الرجال ولكني لا أصدق ذلك مطلقًا فيما يخص الراهب، الكل يعرف أن الراهب لا حاجة له في النساء، يعيش في كوخه على الساحل منذ زمن طويل وقد قرب خمسون عامًا ولم يتزوج، حتى رغبته في الأكل ليست كمثلنا وليس له في الدنيا مأرب، ولم نره في أي مرة منذ جاءت حورية منذ سبع فيضات للبحر يقترب من بيتها ولا دكانها ولا يحاول أن يحادثها وأن مرت بجواره لا ينظر حتى إليها على الرغم من صعوبة ذلك على أي رجل أن لا يكترث لهذا الجمال الملفت والطاغي والهيئة الفتانة.

الأول:

أكاد أشك أنه حتى الراهب وأن كان هكذا حاله لابد وأن يفكر في حورية أن خلا إلى نفسه.

وكأن جعفر الأخ الأصغر لهامان قد سمع فكرة الرجل وبادر إلى دكان حورية الذي كانت تبيع فيه الثياب وتصلحها وتساعدها ابنتها وشبيهتها ذات العشرة أعوام فقط.

جعفر:

صباح الخير حورية، جئت لأخبرك بأن مجموعة من العبيد جاءت للبلدة للحراسة وأنه ينبغي عليكِ أن تعامليهم بحزم حتى لا يحدث مشاكل في بادىء الأمر، نحن نبهنا عليهم بإحترام نساء البلدة، ولكنكِ لستِ ككل النساء وجمالك يسكر العقول ولا يضمن معه تصرف الشخص الذي يراكِ أول مرة.

حورية:

وما ذنبي برجال لا يملكون أنفسهم وما ذنبي بجمال؟ أنا لا أستطيع أن أخفي جمالي ولا أستطيع صد الرجال عن التفكير.

جعفر:

يا حورية لقد طلبت منكِ الزواج أكثر من مرة لكي أحميكِ من نظرات الرجال فلو أنت أصبحتِ زوجتي لا أحد في البلدة يتجرء أن يتكلم أو ينظر إلى زوجة جعفر أخو هامان.

حورية:

وأنا قلت لك أكثر من مرة أنني لن أتزوج من الرجال أحد ولا يجوز لأحد منكم أن يمتلك حورية، ستحترق نفوسكم ولن تمتلكوني مطلقًا، حورية ليست للتملك ولن تستطيعوا تملُكي، فلا تشغلو أنفسكم بي وكونوا مثل الراهب، لماذا لا تكونوا مثل الراهب؟

جعفر:

ولماذا إذًا تزوجتي؟ فيما سبق وأنجبتي حور.

حورية:

الكل لا يصدق أن حور ليست ابنتي وإنني قد وجدتها يتيمة تشبهني فأخذتها وربيتها.

جعفر:

لماذا يا حورية كل النساء تريد الزواج، إلا أنت، ألستِ من البشر؟